Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمال/ المصيدة يظلُّ باهتاً لا دفء فيه ولا روح على الرغم من اكتظاظ المكان بالناس المحيطين به، فقد ترامى وتراهن وتخاصم وتباغض الكثيرون ممن عرفوا (ناستاسيا) من أجل الظفر بها، غير أنها ظلّت في حالة برودة مزمنة، وحيرة غير عادية لا تعرف ماذا تريد؛ ظلّت جمالاً له علاقة بالبداوة والترحال لأنها لم تؤثث مكاناً وتطوره، أو حالة لها ديمومتها، ولا حتى زمناً مشدوداً إليها، وإنما ظلّت عوداً من الدبق يتصيد المحيطين بها دونما قناعة أحد منهم بها قناعة تامة، ودون اكتمال قناعتها هي الأخرى بأي منهم أيضاً، ذلك لأن (ناستاسيا) حالة زمنية طارئة، لا ثبات لمواقفها وأفكارها، ولا ديمومة لإعجابها المتسرع بمعارفها، ثم إنها لا تدري هي ماذا تريد بالضبط، فقد أحبت رغوجيين ورفضته، ثم أحبت الأمير وهربت منه قبل ذهابها إلى الكنيسة من أجل إعلان زفافهما الرسمي، هربت من الوضوح، ومن العلن، ومن المكاشفة الرسمية، هربت من الأمير لتموت بطعنة سكين سددها رغوجيين إلى قلبها مباشرة، تلك الطعنة التي أخطأت الأمير مرات عدة، والتي قادت رغوجين إلى السجن ليقضي فيه خمسة عشر عاماً، تلك الطعنة التي أنهت المحاولات اللاغبة للمرأة المغوية؛ المرأة الغريبة المنفية عن المجتمع الأنثوي الروسي والمنقطعة عنه بسبب تصرفاتها الشائنة التي لا تقيم للأعراف، والتقاليد الاجتماعية وزناً. وبموت (ناستاسيا) تنتهي رواية (الأبله) التي غرقت بحوارات طويلة جداً لدى بعض شخصياتها، وبصمت طويل جداً لدى بعضها الآخر، وهما أمران لا مبرر لهما سوى أن الكاتب أراد ذلك لأسباب تتعلق به شخصياً لا بالناحية الفنية، وإن كنا نعرف أن دوستويفسكي كتب الرواية جملة في أوقات زمنية صعبة جداً من الناحية النفسية فقد كان يكتب فصولها دون أن يدري ماذا كتب سابقاً، وماذا سيكتب لاحقاً لأن الفصول المنجزة كانت ترسل إلى روسيا من أجل نشرها في مجلة (الرسول الروسي) دورياً، وكان هو ينتظر وقتاً طويلاً حتى تصل المجلة إلى منفاه، ولكن دون جدوى، ومع ذلك فهو يعود إلى استئناف الكتابة على طيف من القلق والمخاوف الكبيرة من أن تكون كتابته الجديدة قد تركت فجوات بيّنة في بنية العمل أو انقطاعات حادة في سيرورته، وحقيقة الأمر أن التخوف كان في محله تماماً، فقد جاءت أفكار الرواية متداخلة ومتفاوتة الجودة من الناحية الجمالية، فلا مستواها متقارب في كل الفصول ولا جمالياتها ذات نسيج واحد، بل إن تدخلات دوستويفسكي في النص أفسدته في أكثر من موقع خصوصاً في الفصل التاسع من الجزء الرابع والأخير من الرواية إذ راح يلخص الأحداث الماضية، وطبيعة ما سيحدث منها في الصفحات اللاحقة، ويضيء جوانب غائبة من سيرة